مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 05 العدد03 جوان 2022 من ص: 621ـ644
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

تمثلات التواصل الروحي بين الجزائر والمغرب الأقصى نهاية ق18م وبداية ق19م "الطريقة التجانية أنموذجا"

Representations of spiritual contact between Algeria and Morocco End of the century18 And the beginning of the century19

" Tijani method as a model "

زرارقة علي [1] ♦بليل محمد [2]

[1]ali.zerarka@univ-tiaret.dz جـامعة ابن خلدون-تيـــارت

[2] mohammed.blil@univ-tiaret.dz جـامعة ابن خلدون-تيـــارت

تاريخ الإرسال: 2021/05/27 تاريخ القبول: 12/03/ 2022 تاريخ النشر: 2022/06/15

الملخص:

تعتبر الطرق الصوفية من أهم مظاهر الحياة الدينية والثقافية ممثلة في زواياها المنتشرة وتعاليمها السائدة ببلاد المغارب خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، إذ تعتبر الطريقة التجانية من بين أهم هاته الطرق الصوفية التي تميزت بإنتشارها الواسع وصداها الكبير، حيث ومع نهايةالقرن18م وبدايةالقرن19م ظهرت مجموعة من المتغيرات السياسية والاجتماعية وحتى الثقافية التي ساهمت في إنتشار تعاليم الطريقة على عهد مؤسسها" الشيخ أحمد التجاني" سواء بالجزائر أو بالمغرب الأقصى، كما إستطاعت مجموع الزوايا بالبلدين تشكيل جسور تواصل روحي في إطار الإنتماء للطريقة ممثلة في جانبها الفكري والعلمي، والتي كان هدفها ترسيخ تعاليم الدين الإسلامي وكذا تحقيق تربية روحية وإجتماعية لدى شعوب المنطقة، هذا ما مكنها من تزايد إقبال الناس على الإنخراط بها وتلقي تعاليمها، وكان للشيخ أحمد التجاني ومستواه العلمي الأثر البالغ في ذلك الاقبال، كما عرفت الطريقة بروز العديد من المشائخ بالبلدين، و الذين ساهموا بدورهم في إرساء تعاليم الطريقة وتمكينها من خلال مؤلفاتهم العديدة، وكذا إستمرار دعوتهم لنشر الطريقة بالكثير من مناطق المعمورة شرقا وغربا.

♦ المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ الطريقة التجانية؛ الجزائر؛ المغرب الأقصى؛التواصل الروحي.

Abstract:

The sufi methods are among the most important religious and cultural aspects of life represented by their zawiyas and their teachings prevailing in the Maghreb during the modern and contemporary period, The Tijani method is considered among the most important of these Sufi methods, which are characterized by their wide spread and great resonance, in the End of the 18 century and the beginning of the 19 century appears many political, social and even cultural variables have that contributed to the spread of the teachings of the method during the era of its founder" Sheikh Ahmad Tidjani" either in Algeria or in the Far Maghreb, The group of zawiyas in the two countries was also able to form bridges of spiritual communication within the framework of belonging to the method, represented in its intellectual and scientific aspect, its aim was to consolidate the teachings of the Islamic religion, as well as to achieve spiritual and social education among the peoples of the region, This is what enabled her to increase the popularity of people to engage with her and receive her teachings, the scientific level of Sheikh Ahmed Tijani had a great impact on that, the method knew appearance of many sheikhs from both the countries, they participated in establishing and enabling the teachings of the method, whether through their numerous writings or their continued call to spread the method in many regions of the world, east and west.

Keywords: The sufi; Tijani method; Algeria; the Far Maghreb; Spiritual communication.

1- مقدمة:

شهدت بلاد المغارب العديد من المتغيرات السياسية والإجتماعية والثقافية وحتى الدينية خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، إذ نجد كلا من الجزائر والمغرب الأقصى، وعلى غرار جميع الدول العربية والإسلامية قد شهدتا إنتشارا واسعا للتصوف وحضورا جليا لمختلف المؤسسات الدينية والثقافية، حيث ومع مطلع القرن 16م انتشرت العديد من الرباطات والأضرحة ومختلف المساجد والزوايا بمدن وأرياف البلدين، أين لعبت هاته المؤسسات أدوارا سياسية واجتماعية وأخرى ثقافية هامة، وعلى سبيل الدراسة نجد

"الطريقة التجانية أنموذجا"

الطريقة التجانية وليدة القرن18م والتي كان لها الأثر البارز في نسج تلك البنى الإجتماعية والروحية المختلفة، وبما أن هاته الطريقة إنتشرت بداية بالجزائر ثم المغرب الأقصى بعد تنقل وإستقرار شيخها بمدينة فاس من جهة، وكذا تأسيس العديد من زواياها المنتشرة بالبلدين من جهة أخرى، كل ذلك ساهم في بلورة مظاهر تؤكد وجود تواصل روحي بين البلدين، ويتضح ذلك جليا من خلال عديد الزوايا وكثرة المريدين والمنتمين للطريقة التجانية هنا وهناك، كما لا يمكننا إغفال دور عديد العلماء المتصوفة المنتمين لهاته الطريقة من خلال مؤلفاتهم ودعواتهم المستمرة لنشر الطريقة وتعاليمها، ومن هنا يمكننا طرح الإشكالية الآتية:فيما تمثلت مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر والمغرب الأقصى نهاية القرن18م وبداية القرن19م؟، وإلى أي مدى ساهمت الطريقة التجانية في هذا التواصل؟

وللإجابة على ذلك إتبعنا المنهج التاريخي الوصفي موضحين مجموع المظاهر الروحية التي تؤكد وجود تواصل ديني وصوفي بين البلدين من خلال نشاطات الزوايا المتعددة ودور الطريقة التجانية في ذلك، كما إستعنا أحيانا بالمنهج التاريخي التحليلي محاولين تفسير العديد من المتغيرات المختلفة على الصعيد الصوفي للطريقة التجانية بالبلدين .

2- نشأة التصوف وإنتشاره بالجزائر:

1.2- التصوف بالجزائر قبل التواجد العثماني:

ظهر التصوف في العالم الإسلامي كمنحى فكري بداية من القرن الثالث الهجري، وذلك في عاصمة الخلافة العباسية ببغداد على أيدي رجال شهد لهم الأعداء قبل الأصدقاء بالعلم والفضل والصلاح، وأرسوا قواعد هذا التيار الحديث النشأة، كما رسموا له الأسس المنهجية التي بني عليها[1]، لتؤسس المدارس الصوفية الأولى في القرن التاسع بالبصرة وبغداد بالعراق حول شيوخ مشهورين مثل حسن البصري والحلاج، إذ إستطاع هؤلاء بمفردهم تكوين فلسفات وأنماط من أجل إدراك وفهم المعرفة الروحية أو الحقيقية بطريقتهم الخاصة، وهكذا إنتشرت الطرق ومريدها من اجل البحث عن الفناء في الله وممارسة الزهد، وبعد ذلك ولدت الطرق المتعددة عبر بلدان العالم الإسلامي[2].

1- عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الرحمانية -الأصول والآثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر2013، ص ص246-247.

2- بشير عتو، التصوف في الجزائر دراسة وصفية تحليلية للرق الحبيبية والهبرية والرحمانية والأويسية، ج2، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص95.

بدأ التصوف في الجزائر أو ما يعرف بالمغرب الأوسط تصوفا نظريا نخبويا، ثم تحول إلى تصوف شعبي عارم إبتداءا من القرن العاشر الهجري، ليتجه بعد ذلك إلى الناحية العملية وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية والمناطق المحيطة بها، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن، فلقد إنطلق منها رجالات التصوف الكبار من أمثال أبو زكرياء الزواوي، وأبو زكرياء السطيفي، ويحي العيدلي، والشيخ أبي مدين شعيب الذي إنتقل فيما بعد إلى تلمسان، وتوفي سنة (595ه/1197م)، ومنها إنتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى[3].

و كان الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أحد أوائل و أوتاد الطريقة الصوفية في الجزائر، وقد عرفت الطريقة "المدينية" شهرة واسعة وأتباعا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي، كما إزدادت شهرته على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش ثم تطورت، وأحياها من بعده شيخ الطريقة الشاذلية وتلميذ إبن مشيش " أبو الحسن الشاذلي" نسبة إلى قرية شاذلة بتونس، والذي توفي بأرض الحجاز سنة655ه، وكان لتعاليم الشاذلية تأثير مهم في الجزائر، بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن الهجري تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية، كما شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف التونسي وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ، ويمكن أن نرجع عوامل و أسباب إنتشار التصوف بالجزائر إلى عدة أسباب فكرية وسياسية وأخرى إجتماعية [4]، و يمكننا القول أن التصوف بالجزائر إنتقل من مرحلة النخبوية إلى مرحلته الشعبية عبر مراحل تاريخية مختلفة[5].

2.2- التصوف بالجزائر خلال العهد العثماني:

رغم أن ظاهرة التصوف إنتشرت بمنطقة المغارب عموما والجزائر خصوصا قبل التواجد العثماني بقرون كثيرة، إلا أنها عرفت تناميا وإهتماما خاصا من طرف الحكام العثمانيين بالجزائر وبقية الإيالات العثمانية الأخرى[6]، وقد تميزت ظاهرة التصوف بالجزائر خلال العهد العثماني بمزايا خاصة ونجد منها إرتباطها بالمرابطين والزوايا المنتشرة في كل

3- سهيل الخالدي، الجزائر وبلاد الشام صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال، ط1، منشورات دار الحضارة، الجزائر، 2013، ص519.

4- عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص153.

5-عبد العالي بوعلام، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، جامعة غرداية، 2011، ص464.

6- احمد المقري، الرسائل، دراسة وتحقيق: أسماء القاسمي الحسني، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432ه/2011م، ص84.

المناطق والأقاليم بادية وحاضرة، وكذا مساهمتها في إنتشار الخمول وجماد العقول، ومحاربة الإبداع والإجتهاد لدى العلماء والطلبة[7]، بالإضافة إلى إستغلالها من طرف بعض أشباه العلماء والصوفية كما وصفهم عبد الكريم الفكون، وحولوها إلى ظاهرة منحرفة عن المجتمع الجزائري كالشعوذة والدجل والدروشة وإزدياد فجوة الجهل لدى السكان المحليين، وإنتشار بعض الأعمال المرافقة لهذه الظاهرة كالأذكار والمواعظ والأوراد[8]، وقد برز العديد من العلماء لمحاربة هاته الظاهرة أمثال عبد الكريم الفكون عالم قسنطينة من خلال كتابه "منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية"، وكذا عبد الرحمن الأخضري من خلال منظومته "السلم المرونق"[9]، أما الدكتور أبو القاسم سعد الله فقد وصف حالة التصوف بالجزائر خلال العهد العثماني بتصوف البخل والشعوذة والجهل وإبتزاز أموال الناس[10].

3.2- المؤسسات الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني:

تعتبر الزاوية إحدى المؤسسات الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني، والتي تنامى دورها بشكل كبير خلال هاته الفترة، فقد كانت الزاوية مكانا للعبادة وإيواء الفقراء وعابري السبيل وإصلاح ذات البين[11]، ورغم أنها كانت موجودة بالجزائر قبل الوجود العثماني إلا أنها تميزت في هذه المرحلة بعدة خصائص نذكر منها:

- إرتباطها الوثيق بالطرقية والحركة الصوفية، وهو ما شجع على بناء عدد كبير من الزوايا[12].

- العمل على نشر العلوم و التربية الدينية بالأرياف، أما بالمدن فنجد أن المساجد والمكتبات والمدارس هي من تقوم بذلك[13]، فهي بالمدينة تعمل على تدريس علوم القران

7- احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص129.

8- بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط2، دار بلاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص25.

9- نفسه، ص ص20-23.

10- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن (10-14 ه)الموافق(16-20م)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص14-15.

11- مسعود كواتي، محمد الشريف سيدي موسى:أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010، ص203.

12- أحمد المقري، المصدر السابق، ص62.

13- محمد إبن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص58-59.

وبعض العلوم الشرعية، وعادة ما تحمل الزاوية إسم الولي الصالح المدفون بها أو زعيم الطريقة التي تتبعها، أو الشخص الذي أقامها، كما تحمل أحيانا إسم المنطقة التي تقع بها[14].

- إن الإحتلال الاسباني لبعض السواحل الجزائرية والتهديدات المتكررة للحملات الأوربية خلق نوعا جديدا من الزوايا، وتسمى بالرباطات الجهادية وتقوم بنفس ادوار الزاوية إضافة إلا أنها تقدم تكوينا روحيا وعلميا لطالب العلم والجهاد في سبيل الله[15].

3- نشأة التصوف وإنتشاره بالمغرب الأقصى:

ظهرت بدايات التصوف في المغرب قبل الانحراف من خلال العبادة والإنقطاع والإقبال إلى الله سبحانه وتعالى والبكاء عند قراءة القران والإستماع إلى المواعظ، ليظهر التصوف كممارسة دينية بالمغرب إبتداء من القرن 11م من قبل حجاج الأماكن المقدسة، وتطور ونمى على يد "المولى إسماعيل بن مشيش" ليستكمل نضجه على يد تلميذه" أبي الحسن الشاذلي" في القرن 12م المشخص لمرحلة مغربة التصوف، والذي وصل ذروته مع " محمد بن سليمان الجزولي[16]، ولعل أهم ما ميز التاريخ المغربي بعد الفترة الموحدية والمرينية على وجه التحديد فيما يخص الحياة الدينية هو هيمنة الفكر الصوفي الطرقي، والذي كانت له عدة أدوار منها ما هو متعلق بالمجال السياسي والإجتماعي والتربوي والإقتصادي، حيث نجد أن جل أنظمة الحكم التي سادت المغرب كانت منبثقة عن الزوايا الصوفية، والمتصلة أساسا بالنسب الشريف والقدر الكافي من التدين السليم، إضافة إلى أن الزوايا لعبت دورا كبيرا في حماية المغرب من الخطر والإحتلال الأجنبي خصوصا في القرنين 17م و18م، وذلك بالدعوة إلى الجهاد لردع الخطر الأوربي الإسباني منه والبرتغالي[17].

14- مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص22.

15- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص187.

16- محمد الصافي، التصوف المغربي ودوره في ترسيخ العلاقات الروحية مع بلدان إفريقيا خلال العصر الحديث، "التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب"، تنسيق وتقديم : شرقي عبد الباسط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2019، ص302.

17- عبد العزيز بن عبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، ج1، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001، ص221.

إن انتشار التصوف في المغرب في البداية كان يهدف أساسا إلى نشر الإسلام فيما وراء الحواضر، حيث بدء منذ القرن 13م يتوغل في الأرياف، و منذ القرن 14م إنتقل التصوف من الإطار الدعوي إلى الإطار السياسي، حيث نجد أن المعالم الأولى للطرق الصوفية تشكلت في العهد الموحدي ليكتمل هذا التشكل مع أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الذي يعتبر مؤسس أول طريقة صوفية بالمغرب، جراء التحولات التي طرأت على بنية المجتمع، ويمكن القول بأن الطرق الصوفية أصبحت إبتداءا من القرن 15م مؤهلة لتزويد البلاد بنظام الحكم، وإمتد التيار الصوفي المغربي إلى ما وراء الحدود، فتأسست بمختلف أقاليم الشمال الإفريقي وحتى المشرق زوايا تقتبس من معين الطرق المغربية كالعيساوية والوزانية والتيجانية وغيرها، كما احدث المغاربة أورادا خاصة لطرق خارجة عن المغرب كالقادرية[18].

1.3- الزاوية ودورها بالمجتمع المغربي:

تعددت الأدوار الكثيرة والهامة للزاوية في المجتمعات المغربية والتي تمثلت أساسا في تفقيه الناس في أمور دينهم من خلال دروس الوعظ والإرشاد وتلقينهم مفاهيم الطريقة وأورادها وأذكارها، و كانت الزاوية تقدم دروسا في الآداب والحكمة، كما نجد بالمناطق التي كان فيها تمثيل ضعيف للسلطة المخزنية أو غيابها أن الزاوية مثلت أدوارا تحكيمية في النزاعات والخلافات بين القبائل، و ملء الفراغ مكان السلطة المخزنية[19].

لعبت الزوايا بالمغرب أدوارا طلائعية في تأطير السكان وإستنهاضهم ضد الغزو الأجنبي للأراضي المغربية، وشكلت الزاوية في الكثير من الأحيان ملجأ آمنا للهاربين والفارين من التسلط المخزني أو حتى من العقوبات الثقيلة المفروضة عنهم، وحضي هؤلاء الصلحاء والمرابطين عادة بإحترام وتقدير السلاطين المغاربة أنفسهم، وذلك إدراكا منهم للأدوار الحيوية التي تلعبها هاته المؤسسات دينيا وإجتماعيا، وبذلك نستنتج أن الزوايا في المغرب لعبت أدوارا هامة مكنتها من الإمتداد مجاليا، وحرصت على أن يكون لها حضور قوي في مختلف المدن والمناطق المغربية وقد ساهم هذا الحضور في جعل عدة مدن مغربية تتميز بإشعاعها الروحي في فترات تاريخية مختلفة[20].

18- محمد الصافي، المرجع السابق، ص303.

19- سعيد الحاجي، الزوايا والطرق الصوفية بمدينة القصر الكبير شمال المغرب-أنموذجا- "التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب"تنسيق وتقديم: شرقي عبد الباسط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2019، ص58.

20- نفسه، ص59.

4- الشيخ أحمد التجاني وظهور طريقته:

ولد الشيخ أحمد التجاني بعين ماضي سنة1150ه /1737م، أبوه الشيخ أبو عبد الله محمد بن المختار، وأمه عائشة بنت أبي عبد الله محمد بن السنوسي التجاني نسبة إلى قبيلة بن توجين[21]، نشأ وترعرع في مسقط رأسه، حفظ القرآن الكريم وعمره سبع سنوات على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمو التجاني، ثم تلقى علوم الحديث وعلوم الشرع الأخرى على يد جماعة من العلماء[22]، لما بلغ الواحد والعشرين من عمره شد الرحال إلى المغرب الأقصى، ليحل بمدينة فاس سنة 1171ه /1757م، والتي كانت حاضرة علم، يقصدها الطلاب من كل مكان، إذ لازم هناك شيوخها وعلماءها لينهل من منابع العلم والمعرفة، كما إطلع من خلالها على الكثير من كتب التصوف منها:كتب الفتوحات المكية وغيرها، و تأثر فيما يخص المقامات والأحوال والأخلاق والقواعد الصوفية بتأليف السراج الطوسي وعبد الرحمن السلمي والقشيري والغزالي، فكثيرا ما كان الشيخ أحمد التجاني يستشهد بأقوال وشروحات هؤلاء المشايخ[23].

إنخرط الشيخ احمد التجاني في بعض الطرق الصوفية، فقد أخذ عن الشيخ الطيب الوزاني شيخ الطريقة الطيبية أورادها، و اخذ عن الشيخ محمد بن عبد الله التزاني الطريقة الناصرية غير انه تركها[24]، كما اخذ ورد الطريقة القادرية على من كان يلقنه بفاس، ثم اخذ طريقة أبي العباس احمد الحبيب الغماري السجلماسي الصديقي بفاس غير انه سرعان ماترك كل هذه الطرق[25]، كأنه لم يجد فيها ما يشفي غليله ويطمئن نفسه، أو لكونه كان يطمح في تأسيس طريقة خاصة به[26].

بعدها إنتقل الشيخ التجاني من فاس ليقضي فترة غير قصيرة يتردد على الصحراء وتلمسان، ليبقى في الأبيض سيدي الشيخ خمسة أعوام[27]، كما زار عين ماضي مسقط

21- علي حرازم برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أحمد التجاني، ج1، الطبعة الأخيرة، شركة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، 1961، ص ص26-29.

22- أحمد سكيرج العياشي، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، الطبعة الأخيرة، المكتبة الشعبية، بيروت، 1988م، ص14.

23- بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني-الأمير عبد القادر-الإدارة الفرنسية)"1782-1900م"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص66.

24- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1...، المرجع السابق، ص510.

25- علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص ص23، 24.

26- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص67.

27- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ...، المرجع السابق، ص510.

رأسه ومكث فيها طويلا، ثم توجه إلى تلمسان التي بقي بها حوالي خمس سنوات (1768-1773م) إلى أن تاقت نفسه لزيارة البقاع المقدسة سنة 1773م، فمر بزواوة حيث أخذ الطريقة الخلوتية على يد محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وتوقف في تونس ماكثا بها سنة كاملة قصد التعبد والتدريس والبحث عن أهل الصلاح، ثم توجه لمصر وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمود الكردي، وبعد حوالي سنتين بالمشرق عاد إلى تلمسان التي كان يتردد بينها وبين فاس[28]، وقد بقي الشيخ أحمد التجاني بتلمسان مدة ثمانية أعوام(1775-1782م) متفرغا للعبادة وتلقين الطريقة الخلوتية لبعض من أصحابه، وفي هذه الفترة زار فاس غير أن إلتفاف الناس حوله أقلق باي الغرب الجزائري محمد بن عثمان خوفا من حدوث ثورة، بعدها قصد الشيخ قرية بوسمغون[29] بداية من سنة 1781م ليستقر بها إلى غاية 1784م[30].

5- ظهور الطريقة التجانية وإنتشارها بالجزائر:

كان ظهور الطريقة التجانية سنة (1196هـ/1781م)، عندما كان الشيخ احمد التجاني في قرية بوسمغون[31]، وحسب ما ذكره الشيخ التجاني أن الرسول صلى الله عليه وسلم عين له وردا جديدا، وأمره بتلقينه لكل من طلبه من المسلمين والمسلمات، وما إن سمع أصحاب الشيخ ما وقع له حتى إلتفوا حوله، وصار يلقن الناس حسبما أمر به، فاخذ الشيخ يتنقل من منطقة لأخرى، فمن قرية بوسمغون رحل الشيخ التجاني إلى بلدته عين ماضي[32] ليجعل منها المقر الرئيسي لطريقته، فإستطاع في ظرف ثمانية عشر سنة قضاها في التنقل من جهة إلى أخرى في المناطق الصحراوية أن يرسي أسس طريقته في عدة مناطق، حيث عمد إلى تأسيس زاوية بكل مكان يحل به، ويعين لها مقدما يأمره

28- نفسه، ص510.

29- يرتبط إسم القرية بالولي الصالح (أبي سمغون) الذي ذكره صاحب جواهر المعاني بإسم "القطب الكبير"، وهي منطقة مرتفعة على حافة جبل يدعى "تميدة" على بعد 120 كم جنوب ولاية البيض حاليا، للمزيد ينظر: علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص40.

30- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص ص 69، 70.

31- علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص51.

32- تقع عين ماضي في الشمال الغربي لولاية الأغواط حاليا على بعد 72 كم، ونحو472 كم جنوب العاصمة الجزائر، وترجع عدة مراجع أجنبية، على إن إسمها الحقيقي كان " عين مهدي " وبمرور الزمن حرف إلى عين ماضي، لكن المرجع الوحيد الذي أشار إلى إسم "ماضي" وليس "مهدي" هو محمد بن الأمير عبد القادر، للمزيد ينظر: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903، ص198.

بنشر طريقته، هكذا توسع نفوذها وإرتفع عدد مريديها خاصة في الصحراء وفي الجنوب الغربي من الجزائر، غير أن هذا الإنتشار الذي حققته الطريقة التجانية أقلق باي وهران محمد الكبير[33]، فكان لتوسع نفوذ الطريقة التجانية وإرتفاع عدد أتباعها بالغ الأثر لدى العثمانيين الذين باتوا يتخوفون من نشاط الطرق الصوفية، مما زاد في قلق السلطة المركزية ممثلة في شخص باي الغرب الجزائري الذي راح يضيق الخناق على مؤسس الطريقة، بل تعدى الأمر أن بعث إلى سكان قرية أبي سمغون يتوعدهم العقاب إذ هم لم يطردوا الشيخ التجاني من قريتهم[34]، ورغم الرحلات الكثيرة للشيخ إلا أن منطقتي عين ماضي وأبي سمغون لهما الفضل الكبير في إنتشار طريقته إلى معظم مناطق الغرب الجزائري وبقية ربوع البلاد [35].

1.5- قرية أبي سمغون:

خلال إقامة الشيخ بابي سمغون و بإعتبارها المكان الذي وقع فيه الفتح إلتف حول الشيخ أتباع كثيرون من تلك النواحي، ومن أشهر السمغونيين الذي صحبوه ودعوا إلى طريقته المقدم محمد بن عباس، وأحمد بن عبد الرحمن، وأبو القاسم بن يحي وأحمد دواود الموساوي، ومحمود بودواية، ودحو بن سليمان الريادي، وقائد عين ماضي ريان بن المشري، والجيلاني بن عبد الرحمن الأرباوي، والطيب بن قدور النبالي، والطيب بن محمد بن سليمان وغيرهم كثيرون[36]، ومن مشاهير أصحاب الشيخ من قبيلة أولاد سيدي الشيخ الحاج محمد بن المقسم الذي كان رسولا بين محمد بن العربي الدمراوي والشيخ أبو الحسن بوحفص بن عبد الرحمن[37].

2.5- عين ماضي والأغواط:

نجد أن الدعوة التجانية لقت إستجابة واسعة في مسقط رأس الشيخ التجاني حيث أقبل غالب أعيان القبائل القاطنة بنواحي عين ماضي[38] و إعتنقوا الطريقة التجانية عند

33- عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزرة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص ص122-125.

34- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج8، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1956، ص36.

35- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ...المرجع السابق، ص 512.

36- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص88.

37- أحمد سكيرج العياشي، المصدر السابق، ص ص459-460.

38- فيما يتعلق بتأسيس قرية عين ماضي يذهب كل من الضابط "رين لويس" إلى أن أحد الأشراف المغاربة هو الذي أسسها خلال القرن 17م، دون ذكر إسمه بالتحديد، للمزيد ينظر:

"الطريقة التجانية أنموذجا"

بداية تصدر الشيخ أواخر القرن 18م، ومن أشهر الذين أخذوا الورد عن الشيخ التجاني وأصبح لهم دور فعال في توسيع نفوذ الطريقة بعين ماضي نجد: محمد بو حسونا المضاوي الذي كان مقدما في تلقين الأوراد في تلك الجهات[39]، وهو الذي بنى للشيخ دوره وخلواته بعين ماضي وأبي سمغون، وقبره مشهور هناك، وكذلك الشيخ النوي بن عطا الله وهو من الذين حضروا لوفاة الشيخ التجاني، وسافر بعدها مع الحاج علي التماسيني لعين ماضي، والشيخ عبد القادر بن محمد بن سلمان بن قدور، و الذي كان له نشاط كبير في نشر الطريقة التجانية بعد هجرة الشيخ أحمد التجاني إلى فاس، ومنهم كذلك محمد الهاشمي السرغيني وهو مدفون قرب محمد المشري بعين ماضي وغيرهم، أما عن مشاهير الأغواطيين الذين ساهموا في الدعاية للطريقة وصاحبوا الشيخ التجاني نذكر منهم: سليمان بن سعد وكان كاتبا بعد وفاة الشيخ لإبنه محمد الحبيب، ومنهم العلامة سحنون بن الحاج، وأحمد بن معمر والأخضر بن محمد بن شيبة وعيسى بن خراز والفقيه أحمد بن إسماعيل ومحمد بن جغنون، وأولاد سرغين، وغيرهم[40].

3.5- تلمسان:

عرفت منطقة تلمسان إنتشارا مبكرا للطريقة التجانية وذلك من خلال إقامة الشيخ التجاني في تلمسان، وكان من بين أتباعه الذي أجازهم في الطريقة وعملوا على نشرها في تلمسان نذكر منهم: الشيخ الطاهر أبو طيبة مقدم الزاوية التجانية بتلمسان، وكذا الشيخ المختار بن الطالب، ومحمد المازوني الذي قتل أثناء الصراع الذي نشب بين الأمير عبد القادر ومحمد الصغير التجاني عام 1838م[41].

4.5- توات:

ومن الرحلات التي كان يقوم بها الشيخ التجاني تلك التي قادته من أبي سمغون إلى توات، حيث إلتقى هناك بالشيخ محمد بن الفضيل التواتي[42]، وهو من أوائل أصحابه، فأجازه في تلقين مبادئ التجانية، وصار محمد الفضيل مقدما للطريقة في الجنوب

- Louis Rinn, Marabouts et khouan ,étude sur l'islam en Algérie ,Alger : imp, Adolph Jourdan,1884,p416.

39- أحمد سكيرج العياشي، المصدر السابق، ص403.

40- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص89.

41- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص89.

42- للمزيد ينظر:عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، دون طبعة، مدونة الولي الصالح سيدي بن عزوز، ص181.

الغربي، ويعود له الفضل ولأبنائه من بعده في إنتشار التجانية في ربوع الصحراء، ومن بين المقدمين الذين اخذوا عن محمد الفضيل الشيخ الفقيه احمد بن محمد التواتي، والشيخ الطاهر عبد القادر القندوسي[43].حيث يقول علي حرازم ابن العربي برادة في هذا الصدد"...فلما وصل الى تلمسان اقام بها مدة وارتحل الى ناحية الصحراء سنة ست وتسعين ومائة والف ونزل بقرية القطب الكبير سيدي ابي سمغون، ثم سافر منها الى أتوات بقصد الزيارة، فلقي بعض الاولياء بها واخذ عنهم بعض الامور الخاصة، واستفادوا منه علوما وأسرارا في الطريق..."[44]

5.5- وادي سوف:

ساهم في نشر تعاليم التجانية بوادي سوف الشيخ محمد الساسي القماري السوفي الذي نجح في إستقطاب عدد كبير من القماريين حتى أصبح موكب قمار يخرج كل سنة بمناسبة عيد الأضحى لزيارة الشيخ التجاني بعين ماضي، وتقديم الزيارة له والأخذ عنه، فإنتشرت التجانية بسرعة كبيرة في وادي سوف، ومن الأوائل الذين ساهموا في نشرها بهذه المنطقة إلى جانب محمد الساسي نجد الطاهر بن الصادق وأحمد بن داس وأحمد منصور، وأحمد بن سعد، وعلي بن حنيش، ومحمد بن أبي القاسم، ومحمد بن باسة، وأحمد بن سليمان مقدم زاوية تاغزوت[45].

إن الإنتشار الواسع للطريقة التجانية في الجنوب الشرقي برمته يعود إلى عهد الحاج علي التماسيني الذي لازم الشيخ التجاني، وكان كثير الزيارة له حتى بعد هجرته إلى فاس، فحضي بمكانة كبيرة خاصة عنده ليرث بعدها خلافة الطريقة إثر وفاة الشيخ التجاني عام 1815م، ومنذ ذلك العهد أصبحت مقاليد إدارة الطريقة التجانية تتوارث بين أبناء الحاج علي من بعده وأبناء الشيخ التجاني إنطلاقا من زاويتي عين ماضي وتماسين رغم الصراع الذي حدث حول الخلافة فيما بعد[46].

شهدت الطريقة في ظل إدارة الحاج علي التماسيني ومحمد الصغير التجاني إنتشارا واسعا وتطورا ملحوظا لاسيما في جانبها المادي حيث أصبحت زوايا

43- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص90.

44- علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص40.

45- لعرج الشيخ، نشاط الطريقة التجانية في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، معسكر، 2008-2009، ص104.

46- للمزيد حول موضوع أحقية الخلافة بين أحفاد التجاني وأبناء الحاج علي التماسيني ينظر: بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص ص 95-97.

الطريقة تؤمن طريق القوافل التجارية المارة للصحراء[47]، فمواقع زوايا الطريقة التجانية كانت جد إستراتجية فهي تتمركز في مفترق طرق القوافل التجارية، مما جعلها محطات تجارية هامة يلتقي عندها تجار الشمال بتجار القوافل بالإضافة إلى وقوعها أيضا في طريق الحجيج، كل هذا مكنها ليس من الجانب المادي وحده فحسب، بل أيضا مكنها من تمرير الأفكار ونشر تعاليم الطريقة فأصبح بذلك التجار والحجيج دعاة للطريقة التجانية[48].

6- إنتشار الطريقة التجانية بالمغرب الأقصى:

بعد التضييق الذي لقاه الشيخ احمد التجاني وطريقته من طرف الحكام العثمانيين بالجزائر، حاول التوجه نحو مكان أخر قد يجد فيه من الأمن والاستقرار ما هو مناسب له ولطريقته وأتباعه، فإذا به يتوجه غربا نحو المغرب الأقصى ليؤسس به زاوية لطريقته التي تبعها الكثيرون من مغاربة وغيرهم.

1.6- الشيخ أحمد التجاني في فاس:

في 17 بيع الأول عام (1213ه /1798م) توجه الشيخ أحمد التجاني مع أهله وبعض من تلامذته وكان منهم محمد بن المشري وعلي حرازم من قرية أبي سمغون إلى فاس التي دخلها في السادس من ربيع الثاني من نفس السنة، وبعث رسوله إلى السلطان أبي الربيع سليمان[49] يعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك، ورحب به السلطان بعد أن إمتحن علمه وصلاحه وتقواه وأصبح من خاصة أصحابه، وأهداه دار تسمى"دار المراية"، فإمتنع الشيخ من قبولها تورعا لأمر حاك في صدره، ففطن السلطان لذلك وكلمه بما أزاح عنه وجه الإشكال فقبل السكنى بها، ولكن رغم هذا كان الشيخ يتصدق بمقدار كرائها على المساكين عند إنقضاء كل شهر إلى أن توفي[50].

وقد نجح الشيخ التجاني فعلا في مسعاه حيث لقي الترحاب والمساندة من قبل السلطان مولاي سليمان، الذي يبدوا أنه كان بدوره يريد تحقيق أهداف

---

47 - Louis Rinn, op.cit,p 424.

48- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص93.

49- هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، كان عالما عادلا فاضلا وطد لبلاده الأمن والرخاء وقد تولى الحكم سنة 1208ه، وتوفي يوم الخميس 13 ربيع الأول سنة 1238ه، أنظر ترجمته في: أحمد سكيرج العياشي، المصدر السابق، ص 495.

50- علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص41.

خاصة متمثلة في إهانة الأتراك وإقلاق راحتهم من جهة، وكذا تقوية التجانية باعتبارها طريقة تنبذ التدخل في السياسة، وتحث على طاعة ولي الأمر من جهة أخرى، مما قد يساعده في تقوية نظامه بالمغرب خاصة وأن هذا الأخير قد أتعبته الفتن الداخلية، حيث كان مولاي سليمان رجل علم وذو تكوين ديني، فبدأ يتقرب من الطرق ذات الوزن الثقيل، أو بمعنى أخر أراد توظيف العامل الديني في معادلته السياسية لإحكام سيطرته على الأوضاع في المغرب، إضافة إلى التهديدات الخارجية التي كانت البلدان الإسلامية تتعرض لها مثلما حدث لمصر في نفس السنة التي وصل فيها أحمد التجاني للمغرب (1789م) حيث تعرضت للحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت[51].

2.6- بناؤه زاوية فاس:

كانت الظروف جد مناسبة للشيخ أحمد التجاني لترتيب أمور طريقته في فاس حيث إتسعت شهرته وكثر عدد مريديه الذين كانوا يلتقون في دار الشيخ التجاني لقراءة الأوراد والأذكار، لكن تضاعف عدد المريدين تطلب وجود زاوية، فعزم الشيخ على بناء زاوية له فإشترى خربة منهدمة وما جاورها بحومة الدرداس المعروفة اليوم "بالبليدة" في فاس[52].

بعدها شرع الشيخ التيجاني في بناء زاويته بإعانة من أصحابه ولما بلغ خبرها السلطان مولاي سليمان بعث له بصرتين في كل منهما ألف ريال غير أن الشيخ التجاني يقال انه تصدقا بهما، كما لقي بناء زاوية فاس في بداية الأمر معارضة من بعض أهالي فاس، غير أن تدخل السلطان مولاي سليمان الذي أصدر أوامره بالسماح ببناء هذه الزاوية، كما استفاد الشيخ احمد التجاني من حماية المخزن المغربي أثناء بنائه للزاوية، وحمايته من مواجهة بعض أهالي فاس الذين حاولوا منع أشغال البناء[53]، وقد إنتهى الشيخ التجاني من عملية البناء سنة (1215هـ/1801م) وبدأ يستقبل بها أتباعه ومريديه وحثهم على الصلاة فيها لضمان المزيد من الوافدين، ولقد كان لبناء زاوية فاس الأثر البالغ في نشر تعاليم الطريقة التجانية وتدعيم نفوذها بعد النجاح والإنتشار الذي حققته في الجزائر، حتى أن عدد المنخرطين و بفضل النشاط الكبير الذي بذله التجاني من خلال زاويته أخذ يتضاعف وإستمر في التزايد حتى بعد وفاته[54].

51- لعرج الشيخ، نشاط الطريقة التجانية في بايلك الغرب...، المرجع السابق، ص97.

52- علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص47.

53- محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين، 1792-1822م، ترجمة: محمد حبيدة، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص290.

54- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص95.

نجد ان المولى سليمان قد أعجب بورع التجاني وعلمه حتى انه دعاه لحضور مجالسه العلمية، ولكن لا يعني انه كان يشاطره آراءه وتوجهه الصوفي، ولم يعتنق الطريقة التجانية، إذ بقي حتى السنوات الأخيرة من حياته وفيا للطريقة الناصرية، ومع هذا حافظ السلطان على صلات وثيقة مع شيخ الطريقة أملا في توظيف نفوذه الروحي للحد من هيمنة الطرق الأخرى التي كثيرا مادخلت في مواجهات مع المخزن وممثليه المحليين[55].

وفي صبيحة السابع عشر من شوال 1230ه /التاسع عشر من سبتمبر 1815م عن عمر يناهز الثمانين سنة توفي الشيخ أحمد التجاني رحمه الله، وحضر جنازته الكثير من علماء فاس وصلحائها وفضلائها وأعيانها وأمرائها، وصلى عليه إمام مفتي فاس العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الدكالي، وإزدحم الناس على حمل نعشه إلى أن وضع في ضريحه داخل زاويته بفاس القديمة[56].

3.6- إنتشار وتوسع الطريقة التجانية بالمغرب الأقصى:

كان الإنتشار الحقيقي للطريقة التجانية في المغرب الأقصى على عهد الشيخ أحمد التجاني الذي قضى 17 سنة في فاس، إستغلها في الدعاية لطريقته، ولولا مساعدة السلطان مولاي سليمان لما تمكن من الإقامة في هدوء ولما استطاع ممارسة عمله بأمان بسبب عداوة الدوائر المثقفة له، وكانت هذه المساعدة تعني أن الملكية قد وضعت الطريقة التجانية تحت حمايتها، وبالرغم من كراهية أحمد التجاني أثناء إقامته في فاس و الإرتباط مع الحكومة، إلا أنه وجد نفسه مُنساقاً إلى هذا الإندماج مع الطبقة الحاكمة بسبب الضغوط والظروف آنذاك[57]، والتي كثيرا ما نجدها ممثلة في مواقف بعض الشرفاء والزوايا التقليدية المعادية للشيخ أحمد التجاني، وخاصة المتفرعة عن المدرسة الشاذلية-الجزولية[58]، ومما زاد من إنتشار الطريقة التجانية بالمغرب حتى بعد وفاة مؤسسها هو

55- محمد المنصور، المرجع السابق، ص ص290، 291.

56- سعيدة زفزاف، التربية الروحية للطريقة التجانية في غرب إفريقيا، "التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب":تنسيق وتقديم : شرقي عبد الباسط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2019، ص 359.

57- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص60.

58- محمد المنصور، المرجع السابق، ص291.

وجود ضريح الشيخ التجاني بزاوية فاس، مما جعلها مركز إستقطاب لدى أتباع التجانية في الشرق والغرب ولا سيما غرب إفريقيا[59].

حيث وعلى إمتداد القرن التاسع عشر إعتنق الطريقة التجانية عدد كبير من موظفي الحكومة المراكشية وصارت تستهوي كل رجال الطبقة العليا وذوي النفوذ، بينما إنخرط رجال الطبقة المتعلمة في سلك الطريقة الدرقاوية، وحتى بداية إعلان الحماية على مراكش سنة 1912م كانت الطريقة التجانية أكثر إرتباطا مع الأسرة الحاكمة ونافست كلا من الطريقتين الدرقاوية والكتانية[60].

كما كانت كل مدينة مراكشية تتضمن زاوية أو أكثر للطريقة التجانية وتوسعت بشكل أكثر في الجنوب خصوصا في إقليم السوس الذي يقطنه البربر، ولقد إتبع التجانية كذلك العديد من العلماء وأهل الفضل من رجال فاس الذين صحبوا الشيخ التجاني وأخذوا عنه وساهموا في نشر طريقته، ونجد منهم العلامة سكيرج قاضي مدينة سطات ورافع راية الطريق بتآليفه الغزيرة ورسائله وأشعاره الكثيرة، وعبد الواحد بوغالي المقدم.وكذلك علي حرازم الفاسي، دون أن ننسى الدور الهام الذي قام به محمد الكنسوسي المتوفي عام (1877م) المؤرخ والأديب والمدافع المتحمس للطريقة التجانية صاحب كتاب " الجواب المسكت "، و كتاب " الحلل الزنجفورية" ردا على تهجمات البكائيين القادريين ومؤسس زاوية مراكش سنة 1854م، والذي بفضله أصبحت هذه المدينة مركزا هاما للطريقة التجانية والتي إحتوت حوالي 12 زاوية[61]، ومن خلاله إنتشرت الطريقة في إقليم السوس بواسطة عدد من أصدقائه، ويرجع له السبق كذلك في إستقرار الأسرة التجانية بهاته الزاوية عندما يزورون مراكش[62].

ومع أواخر القرن التاسع عشر صارت مدينة مراكش مقرا هاما للتجانية بل وصار لها إثني عشر زاوية، وتولى قيادة الطريقة جنوب مراكش أحد شيوخ البربر ويدعى محدم لقطيفي الذي إنضم إلى الطريقة عام 1892م، وكان لجهوده وحماسه من أجل نشر مبادئ الطريقة التجانية أثره في إنضمام عدد كبير من المغاربة خصوصا في إقليم السوس، ومن

59- للمزيد حول انتشار الطريقة التجانية بالسودان الغربي، ينظر، بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص ص112-117.

60- لعرج الشيخ، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، رسالة ذكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2016-2017، ص ص25-26.

61- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص111.

62 - لعرج الشيخ، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م...، المرجع السابق، ص26.

هذا الإقليم عرفت التجانية انتشارها خارج المغرب إلى موريتانيا عن طريق قبيلة عدوة"ايداو علي"والتي حمل أبناؤها الطريقة إلى غرب إفريقيا[63].

أما أثناء وقوع الصراع بين زاوية عين ماضي وتماسين ظلت زوايا المغرب التجانية على الحياد، كما ساهمت في نشر الإسلام وتعاليم الطريقة بغرب إفريقيا، ولعبت دورا تحريضيا ضد التواجد الاستعماري الفرنسي قبل 1912م، ولا تكاد تخلوا مدينة كبيرة في المغرب الأقصى من وجود زاوية تجانية على الأقل، وتنتشر التجانية اليوم في عدة مناطق من العالم كمصر، والحجاز، الشام، تركيا وآسيا وأمريكا وأوربا [64].

7- مظاهر الحياة العلمية والثقافية للطريقة التجانية وأتباعها بالجزائر والمغرب الأقصى:

عرفت الزاوية التجانية بنشاطها العلمي والثقافي، حيث بلغ نشاطها العلمي والفكري شهرة واسعة بالجزائر والمغرب الأقصى وتعود هاته الشهرة إلى مجموعة من العوامل أهمها:

7. 1- عناية شيوخ الطريقة بالعلم والعلماء:

ظهر اهتمام شيوخ ورجال الطريقة بالعلم كبيرا حيث كان مؤسس الطريقة الشيخ احمد التجاني يوصي بالعلم ويحث عليه، وكان يأمر أصحابه بتحفيظ أبنائهم القران الكريم وتعليمهم الكتابة والقراءة، كما كان الشيخ احمد التجاني نفسه حفظ القران الكريم حفظا جيدا وعمره سبع سنوات ثم توجه إلى دراسة العلوم الشرعية واللغوية والنقلية حتى أصبح من أكابر العلماء المدرسين[65]، وكان خليفته من بعده الشيخ الحاج علي التماسيني حريصا على العلم وأهله وذلك من خلال مقولته الشهيرة"اللويحة والمسيحة والسبيحة" والتي يعني بها العلم والعمل والعبادة كم قام الشيخ الحاج علي التماسيني بتأسيس مدرسة قرآنية بتماسين تعنى بتدريس القران الكريم وعلوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم[66].

كما شجع شيوخ الطريقة العلماء على الاجتهاد في التدريس وتنشيط الحركة العلمية والفكرية، بل كانوا يشرفون على مجالس الدروس والحلقات العلمية، كما كان هؤلاء يقومون باستدعاء العديد من الفقهاء والمحدثين والأدباء الذين ذاع صيتهم وعلا شانهم

---

63 - لعرج الشيخ، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م...، المرجع السابق، ص27.

64- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص112.

65- أحمد سكيرج العياشي، المصدر السابق، ص08.

66- الصادق التجاني، العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني، ط1، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 2015، ص73.

العلمي من مختلف الأقطار بغرض التدريس وتكوين الطلبة كالرحالة المغربي الشيخ السعيد الدكالي والذي ساهم في التدريس بزاويتي قمار وتماسين وغيره من العلماء والفقهاء[67]، ونجد أن كل زاوية من زوايا الطريقة تحوي غرفا لتحفيظ القران وتدريس العلوم الإسلامية، ولعل الذي ساعد على هذا النشاط التربوي الهام للتجانية كون معظم شيوخها ومقدميها من المثقفين[68]، الذين لم يكتفوا بالتربية الشفوية بل ألفوا العديد من الكتب في محتلف التخصصات وخاصة التفسير والفقه[69].

وما يؤكد النشاط التعليمي لدى الطريقة التجانية بزاويتها بفاس كثرة الطلبة الذين تتلمذوا على يد الشيخ احمد التجاني واخذوا عنه، و منهم:محمد بن أبي النصر الفاسي الحسني المتوفي عام 1273ه- وابو يعزى ابن الحاج علي حرازم الذي تخرج على يديه كثير من أكابر الطريقة وله الصلاة الجامعة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذي توفي عام 1290ه بفاس، وكذا الحاج الكبير الحلو الذي كان يؤم الناس بزاوية الشيخ وتوفي سنة 1277ه، والشيخ عبد الوهاب الأحمر، وغيرهم كثيرون[70].

و من أشهر خلفاء الشيخ في المغرب الأقصى نجد:

علي حرازم(ت1217ه) وابنه أبو يعزى(ت1290ه)، ومحمد الغالي(ت1244ه)، الطيب السفياني وابنه احمد(ت1285ه)، عبد الوهاب ابن الأحمر(ت1269ه)، محمد بن أبي نصر الفاسي(ت1273ه)، الحاج الكبير الحلو(ت1277ه)، عبد الواحد بوغالب، الحاج عبد الوهاب بنيس، ابن معزوز وابنه موسى، عباس بن غازي، محمد بن احمد الجابري، احمد بناني الفاسي وأخوه احمد، محمد بن احمد الكنسوسي المراكشي(ت1294ه)، محمد بلقاسم بصري المكناسي(ت1294)[71].

7. 2- الرحلة العلمية:

كان الاهتمام بالرحلة العلمية وما تشكله من قيمة كبيرة في التحصيل والتكوين كبيرا فكان الإقبال على الارتحال والتنقل بين الحواضر والمدن رغبة في طلب العلم وطلبا للاستزادة الفكرية أمران مهمان، فلقد شهدت زوايا الطريقة التجانية بالجزائر والمغرب

67- عقبة السعيد، النشاط العلمي والثقافي للزاوية التجانية بقمار خلال القرنين 19و20م، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد6، العدد2، 2015، ص4.

68- إبراهيم العوامر بن محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق:الجيلالي بن إبراهيم العوامر، ش ون ت، الجزائر، 1997، ص32.

69- طالب عبد الرحمان، الشيخ احمد التجاني ومنهجيته في التفسير والفتوى والتربية، الجاحظية، الجزائر، 1999، ص35.

70- عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص119.

71- نفسه ص174.

الأقصى توافد الكثير من العلماء من مختلف الأقطار، كما شد طلاب العلم من أبنائها رحالهم إلى مختلف الحواضر العلمية، وكان ذلك فرصة للتلاقي والتحاور والتلاقح الفكري ودعم الروابط العلمية والثقافية بينهم، فنجد مثلا الشيخ محمد حمة التجاني لما حج مع والده التقى بمفتي الديار المصرية آنذاك الشيخ عليش فتدارس معه في العلوم الدينية وأجازه في متن خليل وموطأ الإمام مالك بن انس، كما كان علماء الطريقة يتعاهدون بعضهم البعض بالمكتبات والمراسلات الإخوانية وحتى المراسلات الفقهية[72].

7 .3- الآثار الكتابية للطريقة التجانية بالبلدين:

لقد كان الشيخ التجاني من أصحاب المدرسة الصوفية التي اتخذت من المساجد والحلقات والزوايا منابر لدعوتها وجعلت من مجالسها معاهد لتخريج الرجال بعد تكوينهم، فلم تهتم اهتماما كبيرا بوضع الكتب الكبيرة الكثيرة إلا أننا نجد العديد من المؤلفات للشيخ احمد التجاني وأصحابه وإتباعه ومنها:

-الكناش الخاص وما فيه إلا خط يد الشيخ نفسه وخليفته الحاج علي التماسيني وصاحبه ابن العربي الدمراوي.

- رسائل مخطوطة كثيرة كتبها الشيخ لتلاميذه و أصحابه في المغرب الأقصى، وهي لا تزال مبثوثة في الزوايا التجانية خصوصا بفاس وعين ماضي.

- كتاب الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية في شرح الهمزية، وهو شرح لهمزية البوصيري أملاه الشيخ على تلميذه علي حرازم وأكمل إملاءه عليه يوم 19ذي الحجة 1214هـ بمسجد الديوان من عدوة فاس القرويين.

-كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي ابي العباس التجاني لعلي حرازم برادة.

- تيجان الغواني للقاضي العلامة احمد سكيرج وبه تاويلات شرعية وحل لبعض الإشكالات الموجودة في جواهر المعاني، وكذلك له مؤلف كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب[73].

-مؤلفات الشيخ محمد بن المشري، والذي يعتبر أول رائد لطريقة شيخه التجاني والدعوة إليها بنواحي الغرب الجزائري و الصحراء، وفي الشرق الجزائري وتونس وهي:"الجامع لدور العلوم الفائضة من القطب المكتوم"، "نصرة الشرفاء في الرد على اهل الجفاء"، "السراج الوهاج لاقتطاف ثمرة ياقوتة المحتاج".

72- عقبة السعيد، المرجع السابق، ص ص4- 5.

73- عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص ص130-139.

- كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية للطيب بن محمد بن احمد السفياني الحسني نسبة إلى والد أمه الشيخ الحسن بن إبراهيم السفياني الصوفي المشهور بالمغرب
- بالاضافة الى مؤلفات عدة مثل كتاب "الجواب المسكت" لمحمد اكنسوس وكذا مؤلف "زجر المعتدي على الجناب الأحمدي" لسلطان المغرب المولى عبد الحفيظ، بالإضافة إلى كتاب "رشق السهام" للشيخ محمد فال العلوي وغيرها[74].

7 .4- إحياء المناسبات الدينية واستثمارها في الدعوة إلى الله:

استغل مشائخ الطريقة التجانية المناسبات الدينية كفرصة لجمع أتباعها ومحبيها وخاصة في الزاوية الكبرى بعين ماضي المقر الرئيسي للطريقة وكذا زاويا المغرب الأقصى وبالخصوص زاوية فاس، وكانت تقدم الدعوة لكل الناس للمشاركة في إحياء هاته المناسبات كالمولد النبوي الشريف والسنة الهجرية الجديدة بالذكر والدروس الدينية، مما اكسبها شهرة واسعة تجاوزت حدود الجزائر حيث يحضرها مريدي الطريقة من كل الأقطار وكان يشرف عليها فقهاء تجانيون، وكرست بذلك مبدأ الأخوة والتضامن، والتراحم بين الناس، ولاتزال هذه النشاطات مستمرة إلى اليوم[75].

وكان من وصايا الشيخ التجاني" تعاونوا على البر والتقوى، وكونوا في الله إخوانا، وعلى الإصلاح أعوانا، وتناصحوا، وتصافحوا، وتغافروا، وتزاوروا، وتطاعموا، وتراحموا"[76]، وعملا بهذه الوصية نشط التجانيون في تربية مريديهم على الاخلاق الاسلامية، والدوة الة الله وتصفية القلب من الشرور والمعاصي، ولايزال المريدون يعتبرون إلى اليوم طريقتهم العائلة الكبرى التي تجمعهم، ولازالت عين ماضي قبلة للمريدين والمحبين وسائر الزوار[77].

8- خاتمة: ومما سبق يمكننا أن نستنتج ما يلي:

- بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظريا نخبويا، ليتحول إلى تصوف شعبي عارم ابتداء من القرن العاشر الهجري، ليتجه بعد ذلك إلى الناحية العملية وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية.

74- للمزيد ينظر:عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص ص139-141.

75- شيخ لعرج و ففرور دحو، انتشار الطريقة التجانية في بايليك الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن19م ونشاطاتها المختلفة، محلة الحضارة الاسلامية، العدد29، جوان2016، ص620.

76-علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص76.

77- شيخ لعرج و ففرور دحو، المرجع السابق، ص620 .

"الطريقة التجانية أنموذجا"

- إن انتشار التصوف في المغرب الأقصى في البداية كان يهدف أساسا إلى نشر الإسلام فيما وراء الحواضر، لكنه سرعان ما بدء يتوغل في الأرياف لينقل التصوف من الإطار الدعوي إلى الإطار السياسي.

- تعددت الأدوار الكثيرة والهامة للزاوية في المجتمع المغربي والتي تمثلت أساسا في تفقيه الناس في أمور دينهم من خلال دروس الوعظ والإرشاد وتلقينهم مفاهيم الطريقة وأورادها وأذكارها، ولعبت الزوايا أدوارا طلائعية في تأطير السكان واستنهاضهم ضد الغزو الأجنبي للأراضي المغربية، كما لعبت أدوارا تحكيمية في الكثير النزاعات والخلافات بين القبائل بمناطق غابت بها السلطة المخزنية.

- إرتبطت الزوايا ببلاد المغارب إرتباطا وثيقا بالطرقية والحركة الصوفية، وهو ما شجع على بناء عدد كبير من الزوايا التابعة لعديد الطرق الصوفية بالجزائر والمغرب الأقصى، كما تمكنت هاته الزوايا وبتوظيفها للعامل الديني من القيام بمد جسور الحوار والتواصل الروحي والفكري، وصيانة نسيج العلاقات الحضارية والسياسية بين بلدان المغرب عامة والجزائر والمغرب الأقصى بشكل خاص وأهمها الطريقة التجانية.

- إستطاعت الطريقة التجانية بأورادها وتعاليمها من التغلغل وسط البناء الاجتماعي والفكري بالجزائر والمغرب الأقصى، هذا الأخير الذي قام سلطانه آنذاك المولى سليمان بدور جلي لإحتضان الشيخ أحمد التجاني وطريقته، كما إستطاع شيوخ الطريقة التجانية منذ البداية وعلى الدوام بأن يعملوا على تعريف الناس بعقيدة الإسلام وقيمه الأخلاقية.

- سعت الممارسة الصوفية من خلال وشائجها في المغرب الأقصى والجزائر إلى إيجاد مناخ ملائم للقيام بنهضة علمية ونشاط تأليفي في الفقه والتصوف والتراجم، شارك في إثرائها ثلة من رجالات التصوف من خلال مجالسهم وحلقاتهم العلمية و الفكرية.

- تمكن الشيخ احمد التجاني تأسيس طريقة صوفية مع نهاية القرن 18م ذات خصوصية مكنتها من الانتشار الواسع و نسج جسور التواصل الديني والعلمي والاجتماعي.

- تمكنت عديد الزوايا التابعة للطريقة التجانية بالجزائر والمغرب الأقصى، من توطيد أواصر الأخوة ونسج تعاليم وقيم دينية في قالب صوفي، حافظ على الروابط الاجتماعية والثقافية بين البلدين، حيث سعت الطريقة من خلال مؤسساتها بالجزائر والمغرب الأقصى إلى نشر حياة تعليمية وثقافية ذات خصوصية اصطبغت بما يوجد في الطريقة من أوراد وتعاليم صوفية.

إن أهم ما ميز التواصل الروحي بين الجزائر والمغرب الأقصى هو انتشار تعاليم الطريقة التجانية كواحد من الروافد التي سعت جاهدة إلى بث حياة علمية و ثقافية،

ممثلة في تلك المؤسسات التعليمية والزوايا من جهة و كفاءة شيوخهاوتزايد عدد طلبتها من جهة أخرى.

لقد ساهمت الرحلات العلمية لطلبة ومشائخ الطريقة التجانية في تنامي قيمة التدوين العلمي المتمثل في كثرة الإجازات والمخطوطات المتبادلة، وكذا تزايد حركة التأليف لدى أتباع الطريقة، وهذا ما يبرر تواجد العديد من المادة العلمية بمجموع زوايا ومؤسسات الطريقة خاصة بزاويتي عين ماضي وتماسين بالجزائر وزاوية فاس بالمغرب الأقصى.

- مثل إحياء المناسبات الدينية واستثمارها في الدعوة إلى الله أهم مظاهر التواصل الروحي والديني بين البلدين، ولا يزال المريدون يعتبرون إلى اليوم طريقتهم العائلة الكبرى التي تجمعهم، ولازالت عين ماضي قبلة للمريدين والمحبين وسائر الزوار .

- يعتبر الجسر الموصول بين زوايا الطريقة التجانية بالجزائر والمغرب الأقصى وأتباعهما مظهرا روحيا يعكس مدى التواصل الثقافي بين البلدين، والذي عمل دائما على ترسيخ التعاليم الدينية، والوحدة الروحية من خلال التصوف الذي دعت إليه الطريقة والذي امتد إشعاعه إلى غرب إفريقيا، كما عملت الطريقة التجانية على تحقيق هدف رئيسي وهو إحقاق مايعرف بالتربية الروحية من خلال المنهج التربوي الصوفي الذي سنه الشيخ احمد التجاني وسار عليه أتباعه من بعده.

8- المراجع:

01-إبراهيم العوامر بن محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق:الجيلالي بن إبراهيم العوامر، ش ون ت، الجزائر، 1997.

02- برادة علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي احمد التجاني، ج1، الطبعة الاخيرة، شركة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، 1961.

03- بن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر، 2010 .

04- بوعلام عبد العالي، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، جامعة غرداية، 2011.

04- تلمساني بن يوسف، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني-الأمير عبد القادر-الإدارة الفرنسية)"1782-1900"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 1997-.1998

05-التجاني الصادق، العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني، ط1، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 2015.

06- الحاجي سعيد، الزوايا والطرق الصوفية بمدينة القصر الكبير شمال المغرب-أنموذجا- "التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب"تنسيق وتقديم : شرقي عبد الباسط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2019.

07- الحسني القاسمي عبد المنعم، الطريقة الرحمانية -الأصول والآثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر2013.

08- بن خالد الناصري أبو العباس أحمد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج8، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1956.

09- الخالدي سهيل، الجزائر وبلاد الشام صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال، ط1، منشورات دار الحضارة، الجزائر، 2013.

10- الدراجي بوزيان، عبد الرحمان الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط2، دار بلاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

11- زفزاف سعيدة، التربية الروحية للطريقة التجانية في غرب افريقيا، ، "التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب":تنسيق وتقديم : شرقي عبد الباسط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2019.

12- سعد الله أبوقاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

13- ـــــــــــــــ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن (10-14 ه)الموافق(16/20م)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

14- الشيخ لعرج، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب افريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، رسالة ذكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران1، 2016-2017.

15- ـــــــــــــــ، نشاط الطريقة التجانية في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، معسكر، 2008- 2009.

16- شيخ لعرج و فغرور دحو، انتشار الطريقة التجانية في بايليك الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن19م ونشاطاتها المختلفة، محلة الحضارة الاسلامية، العدد29، جوان2016.

17- الصافي محمد، التصوف المغربي ودوره في ترسيخ العلاقات الروحية مع بلدان إفريقيا خلال العصر الحديث، "التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب":تنسيق وتقديم : شرقي عبد الباسط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2019.

18- عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.

19- بن عبد القادر الجزائري محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903.

20- بن عبد الله عبد العزيز، معلمة التصوف الإسلامي، ج1، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001.

21- عتو بشير، التصوف في الجزائر دراسة وصفية تحليلية للرق الحبيبية والهبرية والرحمانية والأويسية، ج2، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

22- العياشي سكيرج احمد، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الاصحاب، الطبعة الأخيرة، المكتبة الشعبية، بيروت، 1988م.

23- عبد الرحمان طالب، الشيخ احمد التجاني ومنهجيته في التفسير والفتوى والتربية، الجاحظية، الجزائر، 1999.
24- عقبة السعيد، النشاط العلمي والثقافي للزاوية التجانية بقمار خلال القرنين 19و20م، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد6، العدد2، 2015.
25- كواتي مسعود، محمد الشريف سيدي موسى:اعلام مدينة الجزائر ومتيجة، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010.
26-المدني احمد توفيق، كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009.
27- المقري احمد، الرسائل، دراسة وتحقيق: أسماء القاسمي الحسني، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432ه/2011م.
28- المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين، 1792-1822م، ترجمة: محمد حبيدة، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.
29- ابن ميمون محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
30- مفتاح عبد الباقي، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، دون طبعة، مدونة الولي الصالح سيدي بن عزوز، دس ن.
31- هلال عمار، الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزرة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988.
32- Louis Rinn, Marabouts et khouan ,étude sur l'islam en Algérie ,Alger : imp, Adolph Jourdan,1884.